من سيرته ولم يجيء به اهل تلك الشريعة ولا احتجوا به عليه ولم يوثر شي من
ذلك جملة وذهبت طايفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان
يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة
غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر
وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه الصلاة والسلام وترك قطع
الحكم بشي في ذلك اذ لم يحل الوجهين عندها العقل ولا استبان عندها
في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة
انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا
فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم
ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم
وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم وسلامه فهذه جملة المذاهب
في هذه المسيلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها
مذهب المعينين اذ لو كان شي من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف ولا حجة
لهم في ان عيسى اخر الانبيا فلزمت شريعته من جا بعدها اذ لم يثبت عموم
دعوة عيسى بل الصحيح انه لم تكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه
الصلاة والسلام ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا ولا للاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا اذ تحمل هذه
الايات على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقد سمى تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف
ابن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة
منهم في هذه الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد
ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى بعد هذا انتهى قلت
وعلى قول الجمهور وقول الوقف يكون القول بعصمتهم عن المعاصي قبل
النبوة معناه ان الله عصمهم مما علم انه سيكون في شرعهم بعد بعثتهم
معصية وهو معنى قول بعضهم ان ذوات الاحكام ثابتة قبلها وانما
المتوقف على تعلقها فالمرادات المتعلقات المتوقف تعلقها على البعثة
لا تضر قبلها سيما الفترة في تنزيه مقامهم وعلى القول بتعبدهم بشرع
بسبق الامر ظاهر فان قلت فهل يلزم من قال بمنع الاتباع
في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقول به في حق غيره من الانبيا
ام يفرق بينهم قلت اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل
رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاين ما تصور له وتقرر اتبعه
ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع بمن قبله
يلتزمه بمساق حجته في كل نبي واما الكذب فالجمهور على وجوب

عصمتهم

عصمتهم منه مطلقا عمدا كان او سهوا او غلطا لما فانه مقتضى المعجزة المصدقة
لهم في كل ما اتوا به او تصديق الكاذب محض الكذب وهو محال على الله تعالى
وجوزه القاضي عليهم سهوا زعما منه ان لا يدخل في التصديق المقصود
بالمعجزة وقد قدمنا عند قوله وصه فهم تمام ما يتعلق بهذا المبحث
وهاهنا فايدة نبه عليها القاضي عياض في الشفا وهو انه
يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي عليه الصلاة والسلام وما لا يجوز على طريقة
المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام
وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه
ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه
عليه الصلاة والسلام من الشدايد ظهر عليه الاشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفدا له لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته
واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه الصلاة
والسلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك
وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فيقول هل
يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا او نحوه
من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة ويقول هل يجوز ان لا يعلم
الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشيا حتى يوحى اليه
ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته ويقول هل تجوز منه المخالفة
في بعض الاوامر والنواهي وموافقة بعض الصغاير ولا يقول هل يجوز
ان يعصي او يذنب او يفعل كذا من انواع المعاصي هذا عليه فيما يورد
على وجه الاثبات واما ما يورد على جهة النفي منه عليه الصلاة والسلام
والتنزيه له فلا حرج عليه في ذلك كيف قال كقوله لا يجوز عليه الكذب
جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب
ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل
هذا وكان بعضهم يلتزم مثل هذا في اي من القران يخفض لها صوته
اعظاما واجلالا وحذرا من التشبه بالكفرة كيد الله تعالى تنبيهات
الاول الصدق والكذب من عوارض الخبر فلا بد من تصوره فنقول
قد زعم قوم انه ضروري كالعلم والوجود والعدم فلا حاجة الى تعريفه
وذهب قوم الى انه نظري ثم اختلفوا فمنهم من قال انه يعسر تعريفه فلا يعرف
صونا للنفس عن المشقة ومنهم من قال انه تيسير التعريف وعليه فمنهم
من عرفه بانه كلام يحصل مدلوله في الخارج بدونه ويكون هو حكاية عنه
ايما لا يتوقف وجود مدلوله على وجوده فيعم الصادق والكاذب لا انما
يتحقق بالفعل مدلوله خارجا بدونه حتى يخص الصادق ومنهم من